

الملاحظات

أحد الألواح الذي يبدو أن حضرة بهاء الله أنزله خلال الشهرين اللذين أمضاهما في بيت رضا بيك معتزلاً كان "لوح الروح" النازل بالعربية. كغيره من الألواح العديدة لهذه الفترة يتميز بموضوعين: الأول إعلان دعوته وكشف عظمة مقامه، والآخر إعراض أولئك البابيين الذين مالوا لجانب ميرزا يحيى وخيانتهم وشورهم، والذين غالباً ما أشار إليهم حضرة بهاء الله بكلمة "المشركين".

بينما يستنكر القبائح الشنيعة التي ارتكبتها هؤلاء، يصف حضرة بهاء الله بعبارات رقيقة كرب فؤاده في ذلك البيت الموحش. ويوبخهم بما أنزلوا من البلايا على نفس الله بما جعله يستر بهاء طلعت بعد إظهارها للناس. ويؤكد بأن "صُيِّعَتْ حرمتي بين الناس" بما "فعلوا بنفسى المقدس العزيز المنير". يذكر أيضاً الحادثة المهينة عندما "أراد رئيس المدينة أن يحضر بين يديّ الغلام وجد الباب مغلوقة وإذا فتحنا الباب على وجهه ما كان عندنا من أحد ليخدمه"، ذلك اليوم الذي "بكت الأشياء كلها وتقطّعت أكباد المقربين" لتلك الذلة.⁽¹⁾

(1) يمكننا أن نقدر بشكل أفضل مغزى بيانه لو تأملنا مدى الإهانة التي تلحق بالملكية لو أن ملكاً قام باستقبال زواره شخصياً. بالإضافة إلى كونه المظهر الكلي الإلهي، وكان أتباعه على استعداد دوماً للقيام على خدمته، فإن أعراف

يعاود حضرة بهاء الله في "لوح الروح" ذكر شرور ميرزا يحيى هو ومن حوله. يخاطب مؤمناً مخلصاً اسمه علي، مشيراً لمحاولة أولئك قتله رغم عونه وحمايته لهم طيلة عقد من الزمن ويزيد، مما جعل صيتهم معروفاً على نطاق واسع. لكنهم عندما وجدوا عجزهم عن تنفيذ مآربهم وكيدهم، تبرأوا مما فعلوا وأشاعوا تهماً باطلة ضده إذ نسبوا جرائمهم إلى شخصه. فقد وصمهم بأنهم "عبدة الأسماء" بحيث "تفتخرون بها على مقاعدكم"، وأنبأهم بأن الله سيجعلهم "هباء بحيث لن يبقى منكم على الأرض من أثر".

وكانت كلمات حضرة بهاء الله هذه قد تحققت بالفعل. فبينما كان كثيرون قد سقطوا في ضلال ميرزا يحيى في أوائل أيام أمر الله ورفعوا رايات العناد والتمرد ضده، إلا أنهم اليوم أصبحوا مجرد شرذمة لا وزن لها.

يتنبأ حضرة بهاء الله في هذا اللوح بغلبة أمره عندما يُظهر الله قريباً خلقاً جديداً في ظل أمره. وفي فقرة أخرى يؤكد بأن "ينزل الله من غمام الأمر جنوداً بشهاب من القدرة والقوة وينصرون الغلام بنصر الذي ما شهدت مثله عيون الخلائق أجمعين ويبعث بسلطانه حقايق النبيين والمرسلين".

المجتمع وقتها تفرض على أن يكون لشخصية مميزة عدد من الخدم في منزله. بل لن يخطر على البال أو يُعقل أن شخصاً ذا منصب عال يتدخل بنفسه في إدارة شؤون منزله.

ونجد في ألواح أخرى بيانات مماثلة لهذه. في إحدى كتاباته المباركة (٦) يعلن حضرة بهاء الله، وهو يبيّن عظمة ظهوره وما يقترن به من امتحانات، بأن هذا اليوم قد امتحنت فيه حقائق النبيين والمرسلين. وإذ نستعرض تاريخ أمر الله، تواجهنا بعض الحقائق المذهلة للخيال. فقد صرح حضرة الباب، الذي وصف حضرة بهاء الله ظهوره بأنه "نفس ظهوري"، بأن لحروف الحيّ^(٢) نفس مقام أئمة الدورة الإسلامية. (٧) وفي أحد ألواحه (٨) يصرح حضرة الباب، في معرض ذكره لصفات "من يظهره الله" ومقامه الأعلى، بأن في يوم ظهوره كل من قد يعتبره نبياً فهو كذلك من أول الذي لا أول له إلى آخر الذي لا آخر له. بل يزيد ويصرح بأن إرادة الله سوف لن تتحقق إلا من خلال إرادة "من يظهره الله".

إن هذه البيانات قد تذهل الخيال فعلاً. إلا أنه لو نتأمل في أمر الله لنذكر بأن حضرة بهاء الله قد افتتح بظهوره "يوم الله"، اليوم الذي اشتاق كافة رسل الله وأنبياءه لبلوغه. فظهوره هو ظهور الله نفسه، الآب السماوي الذي أخبر السيد المسيح عنه. دعنا للحظة نبحث مقام حضرة بهاء الله في ضوء ما جاء في العهد الجديد من "الكتاب المقدس". أولاً فيما يتعلق بالسيد المسيح فإنه ظهر بمقام البنوة (ودُعي ابن الله). لكن هذا لا يعني بأن الله، الغيب المنيع، قد اتخذ أو كان له ابن من البشر. ذلك لأن تأويلاً أو مفهوماً كهذا سيهبط مقام الله ومفهومه من عالم اللامحدود إلى

(٢) أول ثمانية عشر مؤمناً بحضرة الباب.

المحدود. لكن الله مقدس فوق كل شيء، حتى عن صفاته، وعليه، لما تكلم السيد المسيح عن مقامه كابن الله فإنما كان يريد بذلك إظهار علاقة ورابطة (بينه وبين الله). فقدّم نفسه على أنه ابن، والله الآب السماوي. كذلك الحال بالنسبة لأي ولد يتحدث نيابة عن أبيه في المجتمع ينبغي أن تكون له علامتان رئيستان. يجب أولاً أن يمتلك سلطة من أبيه، وثانياً يبدى سمات وخصائص مماثلة ورثها عنه. لأجل إثبات مصدر سلطته، اختار السيد المسيح أن يصف نفسه أو يوصف بابن الله وشبهه الله بالآب. هذا ولفظتا "الآب" و"الابن" في العهد الجديد هما اصطلاحاً مجازاً وتشبيهاً كذلك بين السيد المسيح بوضوح أن الآب هو الذي أرسله.

"لأنني لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم."

ويبين كذلك بجلاء أنه سيعود بمجد الآب:

"فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته..."

من هذه وغيرها من البيانات الكثيرة نستطيع أن نستنتج بأن الآب السماوي الذي أرسل السيد المسيح هو الذي سيأتي نفسه.

لقد أعلن حضرة بهاء الله في عدة ألواح وبجلاء أن مقامه هو مقام الآب. ففي خطابه لرؤساء الدين المسيحي يعلن ذلك متفضلاً:

"قل يا ملاً الأساقفة قد أخذت الزلازل كل القبائل والرب الأبدي ينادي بأعلى النداء بين الأرض والسماء طوبى لأذن سمعت ولعين رأيت ولقلب أقبل إلى قبلة من في السموات والأرضين..."

وفي لوح آخر يعلن هذه البشارة:

"... قد أتى بملكوته وتنادي الذرات قد ظهر الرب بمجده العظيم، قد أتى الأب والابن في الواد المقدس يقول لبيك اللهم لبيك والطور يطوف حول البيت والشجر ينادي بأعلى النداء قد أتى الوهّاب راكباً على السحاب."

كما لاحظنا من قبل، فإن الحقيقة الإلهية غير قابلة للتجزئة والتعدد. ففي عالم الخلق يُستدلّ على ظهور الله من خلال صفاته. لكن بالنسبة لعالمه فإن جوهره وصفاته هي شيء واحد. لو وُصف بأية صفة فإن في ذلك تنزيهه إلى عالم المحدودات. فيما يلي كلمات حضرة بهاء الله في تمجيد الله وعظمة غيبه المنيع:

"سبحانك من أن تصعد إلى سماء قربك أذكار المقربين أو أن تصل إلى فناء بابك طيور أفئدة المخلصين. أشهد أنك كنت مقدساً عن الصفات ومنزهاً عن الأسماء لا إله إلا أنت العلي الأبهي".

نحن نعلم بأن الله أصل كل الأشياء وخالقها، إلا أننا لا نستطيع أبداً أن نعلم كيف يحقق ذلك في عالم ذاتيته. حتى المظاهر الإلهية لا يعلمون ذلك، إذ لا سبيل لهم لعرفان حقيقته. ومع ذلك هناك في هذا العالم أنموذج للخلق تتكون بموجبه كل الأشياء عن طريق وسيلة أو سبب ما. فالإنسان مثلاً يأتي لهذا العالم بوساطة والديه، لكن القوة المسببة لخلقه ومولده، والتي تنبعث من عوالم الله، تظل غير قابلة للمعرفة. فلو نفترض أن هذه القوة تنبعث من ذات الله نفسه، فإن إقراراً كهذا يكاد، كما لاحظنا من قبل، يفرض المحدودية عليه. هذه النقطة التي ندرك عندها بأن عقولنا لن نستطيع أبداً معرفة كنه هذه الحقائق. ذلك لأن السبيل مقطوع تماماً أمام المحدود ليعرف اللامحدود بشكل مباشر.

يبدو من كتابات حضرة بهاء الله المباركة بأن كل القدرات والصفات التي يمدّها الله لعالم الإمكان إنما تنبعث من "ملكوت أمره". فبواسطة هذا الملكوت تُمنح الحياة، مادية وروحانية لكافة الكائنات، ومن هذا الملكوت نفسه انبعث كل وحي سماوي وجاءت المظاهر الإلهية. يشرح حضرة بهاء الله في أحد الألواح كيف أنه ولو

ظاهرياً يكون للمظهر الإلهي عدة حدودات، لكنه باطنياً يقيم في عالم الحقيقة (المطلقة)، مجرداً عن كل الحدودات. إلا أن هذا العالم المطلق يختلف عن عالم الله نفسه وبالمقارنة به له حدوداته.

إن رب "ملكوت الأمر" هو حضرة بهاءالله، المظهر الكلي الإلهي والذي سبق أن بشر بمجيئه بمقام الآب في الكتب السماوية. ينبغي في الوقت نفسه ألا يُساء تفسير هذه العبارة بحيث تناقض المبدأ الأساسي لوحدة المظاهر الإلهية. لقد سبق الإشارة لهذا الموضوع في المجلد الأول من الكتاب.⁽³⁾ فالمظاهر الإلهية لا فرق بينهم في جوهرهم لكنهم يختلفون في شدة النور المقدر لكل ظهور من ظهوراتهم، أو الوحي الهابط عليهم. يشبه ذلك شعور الفرد واحتفاظه بهويته الذاتية خلال مختلف مراحل العمر رغم نموه وتطور قدراته وقابلياته باطراد. يعلن حضرة بهاءالله في "لوح الروح" بأن "لن ينفع نفساً إيمانها إلا بعد عرفان ربها"، أي الدخول في ظل أمره ولن ينفع تلك النفس شيئاً مما خلق "في السموات والأرضين". ثم يشهد بأن قيمة الإنسان ونفعه في هذا اليوم مُعلّقان بعرفان حضرة بهاءالله والاستنارة من أنوار ظهوره. تمثيلاً لذلك يستعمل تشبيه المشكاة المظلمة التي لا تؤدي غرضها لأنها عديمة القيمة ولو كانت مصنوعة من "بلور أطف لطيف". إذا تأملنا بهذه الكلمات فلعلنا نستنتج بأن خلاص

(3) الصفحات 67-69.

الإنسان في كل عصر يعتمد على إقباله وعمله وفق هدي الله المُنزَل لتلك الحقبة من التاريخ.

هناك بيانات مماثلة لحضرة بهاءالله في ألواح أخرى. ففي سبيل المثال في الفقرة الافتتاحية من "الكتاب الأقدس" يعلن حضرة بهاءالله بلغة جلية لا لبس فيها بأن أول واجب للإنسان تجاه الله هو عرفان مظهر أمره.

"إن أول ما كتب الله على العباد عرفان مشرق وحيه ومطلع أمره الذي كان مقام نفسه في عالم الأمر والخلق من فاز به قد فاز بكل الخير والذي مُنع إنه من أهل الضلال ولو يأتي بكل الأعمال. إذا فزتم بهذا المقام الأسنى والأفق الأعلى ينبغي لكل نفس أن يتبع ما أمر به من لدى المقصود لأنهما معاً لا يُقبل أحدهما دون الآخر هذا ما حكم به مطلع الإلهام."

في أجمل فقرات "لوح الروح"، يعلن صوتُ الروح في عالم الملكوت المقام الأعلى لحضرة بهاءالله، ملقباً إياه، بلغة تهز المشاعر، بأنه: "جمال المعبود"، "أمانة الله بينكم"، "نفس الله بين عباده"، "كنزه لمن في السموات والأرضين"، "كتاب الله فيكم"، "ضياؤه في ملكوت الأمر والخلق"، والذي "ستر فيه كنوز من الأسرار التي لو يظهر حرف منها لتنفطر السماء". ألقاب كهذه وكثير غيرها تُسبت لحضرة بهاءالله من

القلم الأعلى . يمضي صوت الروح في الشاء على مقامه بحيث يريد منعه من أن يكشف المزيد، لكنه يجد ذلك مستحيلاً إذ كان موهوباً بقوة من الله .

في "لوح الروح" منظر خلاب آخر يلعب فيه قلم حضرة بهاء الله دوراً هاماً. في هذا الحوار يبدأ القلم بالضجيج وهو بين أصابع حضرة بهاء الله متوسلاً بمولاه أن "ارخ زمامي لألقي على الممكنات حرفاً من أسرار المحجبة المكنونة المخزونة لعل أهل العماء يعرفون ما لا عرفه أحد من العالمين." ثم يرجو من أنامل حضرة بهاء الله ألاّ "تمنعني عن إسقاء الممكنات عن كوثر العذب الذي أجرته في سري قبل خلق الموجودات." فهو يتلهف لكي يُسمح له بشق "ستر الحجاب عن وجه الممكنات لعل يستشعرون في أمرك... لأنهم عمياء في السروصماء في الجهر." يسجل القلم حسرته إذ يرى حضرة بهاء الله بدون مُعين (في الأرض) "بما ابتليت بين هؤلاء"، فيرجو الإذن لمد يد العون له وذلك باستعمال القوة التي أودعها الله فيه، تلك القوة التي تنطق بمجرد حركته والتي يمكنها إخضاع من في الأكوان. يعبر أيضاً عن عجبه وتحير من صبر حضرة بهاء الله بعد قدرته، ومن حلمه بعد علمه، مع عرفانه بأنه لو أراد، لجعل الكائنات، بكلمة واحدة، يقومون على خدمة أمره الغالب البديع . يمضي القلم في توسلاته بهذا الشأن بكل جد وإخلاص حتى يتوجه إليه لسان العظمة⁽⁴⁾ بأن "يا قلم فأمسك زمامك ثم اصبر واصطبر... فاقلع ما رشح من غمام علمك ثم ابلع ما ظهر

(4) حضرة بهاء الله.

من لئالي أسرارك لأن الناس لن يعرفوا الشمس عن الظل ولا الخزف عن لؤلؤ عز
ثمين..."

يشير حضرة بهاء الله على أحبائه، في "لوح الروح"، بأن يتحدوا حتى يهزموا
أعداءهم فيفضل قائلاً: "أن اتحدوا على حب الله وأمره وكونوا كنفس واحدة هذا
أحب عند ربكم عن كل أمر محبوباً وبذلك تضطرب أركان المشركين وينكسر ظهر
كل فاجر مبغوضاً." وينهي عباد الله عن "كل ما لا يحبه رضاه" ويحدّهم بشدة:
"إياكم إياكم عن الفساد والاختلاف لأن بذلك يرجع الضرّ إلى سدرة قدس مرفوعاً."

كتاب ظهور حضرة بهاء الله، أديب طاهرزاده، المجلد ٢